آداب التفسير

لا بُدَّ لنا من إدْرَاكِ أَنَّ للتفسير آداباً عامة؛ فلا يحق لمن هَبَّ ودَبَّ أن يتصدَّى للخَوْض في غِمَارِ هذه المَهَمَّةِ الجليلة؛ إذ لا يُؤهَّلُ لها إلا من أصطفاهم الله ممن توافَرَتْ فيهم جُملَةٌ من الآداب العامة ويُمكن إجمال تلك الآداب بالأقسام الرئيسة الثلاثة الآتية:

القسم الأول = الآداب الموضوعية

تتمثل بوجوب الالتزام بمبدأ الحيادية وعدم الانحياز في عرض الآراء، وكذلك عدم تغليب

الهوى، أو الانتصار لرأي أو فِكْرٍ أو مذهب على حساب النصوص القُرآنية المحكَمَةِ الثَّابتة.

****

القسم الثاني = الآداب النفسية

والمقصود بـها: الكمال الإنساني الذي ينبغي أن يَتَّصِفَ به كُلُّ مُفسِّر؛ وكما يأتي:

١ ـ **صحة الاعتقاد**: لا يخفى علينا أنَّ للعقيدة أكبر الأثر في نفس صاحبها، فإذا لم تكن سليمة؛ حَمَلَتْ صاحِبَهَا على تحريف معاني النصوص، وتشويه الحقائق، وعلى التدليس والخيانة في نقل الأخبار!

٢ - **إخلاص القلب لله والتفويض إليه:** فإذا كانت صحة الاعتقاد سليمةُ من كُلِّ شائبة؛ جاءت النية الصادقةً والإخلاص لله تعالى مكملاً للنفس.

٣- **صحة المقصد وحسن النية** فيما يقول أو يكّتُبُ؛ لأنَّ الأعمال بالنيات؛ فينبغي أن يتجنَّبَ البِدَعَ والمحدَثَات، وأن يكون أعتماده الأول في التفسير على النقل عن رَسُول الله ﷺ، وعن أصْحَابه من أهل البيت وغيرهم، وعمَّن عاصَرَهُم من التابعين، وعن تابعيهم بإحْسَانِ ؛ لذلك ينبغي أن يترفع عن الهوى وأن يتطهر من أعراض الدُّنيا وشهواتها الزائلة؛ ليلقى التَّسْدِيدَ من لدن الله .

٤ - **التَّدبر والتفكر:** إنَّ تفسير القرآن بحاجة إلى تدبر عميق وتفكير دقيق وفهم سديد؛ بغية إدراك ما فيه من أسْرَارٍ، والوصول إلى ما أحتواه من حكم تكمن وراء كل تشريع، وتوجيه هذه الحكم والأسرار لا تتجلى إلا للمتدبر الفَطِنِ والمتفكر البصير.

٥- **عِلْمُ الموهبة:** وهو عِلْمٌ يُورِثُهُ الله لمن أتقى بترك محارمه، وتنفيذ أوامره، وعَمِلَ بما علم، وإليه

الإشارة بقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة:٢٨٢]، وقوله ﷺ: ((من عَمِلَ بما عَلِمَ؛ وَرَّثه اللهُ عِلْمَ ما لا يَعلَمُ))؛ فعِلْمُ الموهبة نُورٌ يُلقيه الله له في قلوب الأنقياء من العلماء؛ فينالون الفهم، ويتذوقون العِلْمَ بالعَمَلِ، وهذا لا يكون إلا عند أهل الورع والصدق والزهد والتَّقوى.

****

القسم الثالث = الآداب الفنية

ويُقصد بـها: تلك الأدواتُ والعُلُومُ التي لا بُدَّ لكُلِّ مُفسِّر أن يستكملها؛ وإلا وَجَبَ، الكف والإحجام عن التفسير؛ لأنه لا يَحِلُّ لَكُلّ مُسلم أن يُفسر القُرآنَ الكريمَ إلا إذا كان عالماً متمكناً من أسباب التفسير ومقوماته؛ كي لا يكون تفسيره مفسداً لمراد الله تعالى من كلامه. وتتلخص هذه الآداب بالآتي:

١- **فقه اللغة العربية**؛ ليعرف بها معاني المفردات ومدلولاتها، ولا تكفي المعرفة اليسيرة بذلك؛ بَلْ بُدَّ من التبحر بعِلْمِها؛ لأنه قد يكون اللفظ مشتركاً بين معنيين أو أكثر؛ فيعلم أحَدَ المعنيين ولا يعلم الآخر الذي هو المراد.

٢- **النَّحْو:** وبه يُدرَكُ المعنى؛ لأنَّ المعنى فرع الإعراب، فهو يتغيَّر باختلاف الإعراب؛ فلا بد من معرفة وجوه الإعراب لتحديد المعنى المراد.

٣- **الصرف:** وبواسطته يَعلَمُ المُفسر أبنية الكلمات وموازينها وصيغها وتصريفها واشتقاقها.

٤-**عُلُومِ البَلاغة الثلاثة:** المعاني والبيان والبديع؛ إذ **يبحث الأول** منها عن مدى مطابقة الكلام لمقتضى الحال؛ فتعرف به خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى. **ويبحث الثاني** في مدى وُضوح الدَّلالة وخفائها، وكونها حقيقية مباشرة أو مجازية إيمائية. **ويبحثُ الثَّالثُ** في وُجُوه تحسين الكلام؛ المُتمثلة بجوانب

التنميق الأسلوبي البنائي، وجماليات الفحوى والمضمون؛ المتمثلة بما يُعرف بـ«المحسنات اللفظية»، و«المحسنات المعنوية».

٥- **أُصول الدين:** المسمى بـ «عِلْم الكلام»، أو «التوحيد»، أو «العقيدة»؛ إذ به يُعلَمُ مَا يُجِبُّ لله تعالى، وما يجوز له، وما يستحيل عليه، وتُعلَمُ أحكامُ النُّبوَّة، والمعاد.

٦- **أصول الفقه:** لأنَّ المفسّر يُدرِكُ بهذا العِلم وجه الاستدلال على الأحكام الشرعية؛ من تقييد المطلق، وتخصيص العام، وتفصيل المجمل، وتبيين المبهم ، ومعرفة الناسخ من المنسوخ، ودلالة الأمر والنهي، وما أشبه ذلك.

٧- **السنة النبوية:** لأنَّ القُرآن الكريم ذكر بعض الأحكام الشرعية بصورةٍ مُجمَلَةٍ أو كلية؛ كالصَّلاة، والزَّكاة، والصوم، والحج، وأحكام الزَّواج والطلاق... وغير ذلك من الأحكام التي بينت السُّنَّة مبهمها، وفصَّلَتْ مُجملها ، وخَصَّصَتْ عامها، وقيَّدتْ مُطلَقَهَا....

٨- **بعض عُلُومِ القُرآن:** كعلم القراءات التي يُعرَفُ بها المعاني المترتبة عليها، وكعلم المكي والمدني، والناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، وغير ذلك....

٩- **العلم بالتاريخ «السيرة»:** ولا سيما تاريخ الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكذلك سير الأنبياء والأمم.

١٠- **الإلمام بعلوم الاجتماع والنفس والتربية وبعض العلوم المعاصرة**: بقدر ما يتجلى للمفسر معنى الآية الكريمة أو النَّص في عصرنا الراهن.

فإذا ما تحققت هذه الشروط والآداب التي سَبَقَتْها؛ بلغ المفسِّرُ أعلى مراتب التفسير، وكان من المتخصصينَ بِعِلْمِ تفسير القرآن الكريم.

أما مُجرَّدُ فهم القرآن وإدراك المعاني العامة للآيات؛ فهذا قدر يكاد يكون مشتركاً بين عامة المثقفين، وهذا ما تُشير إليه الآية الكريمة: ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾ [القمر: ١٧]؛ لأنَّ كُلَّ مسلم مدعو إلى قراءة القُرآن الكريم ومحاولة تفهمه.

أما **تفسير الخاصة من العلماء**؛ وهو المتمثل بالتصدي لتأليف الكتب، أو إلقاء الخطب والمحاضرات

والدروس عبر وسائل الإعلام أو التعليم؛ فهو مُحتاج إلى كُلِّ العُلُوم والآداب التي ذكرناها آنفاً.

****